﴿فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمۡۖ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡخُلۡدِ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٤﴾ [السجدة: 14]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

عاقبةُ الأعمال القبيحة دخولُ النّار

لمّا بيَّن للمُجرمين في الآية السّابقة أنَّه لا رُجوعَ إلى الدُّنيا نبَّههم في هذه الآية على ما عملوا من تدنيس نفوسهم بفعل المعصية منَ الكفر والتَّكذيب؛ لذلك كانت هذه الآيةُ الكريمة نتيجةً لما سبقَها، فما سبقها قسَمٌ ربّانيٌّ بأنَّه سيملأ جهنَّمَ منَ الجِنَّة والنّاس أجمعين، وفي هذه الآية تحقيقٌ للوعيد المذكور بأنَّهم سيذوقون العذاب بسبب أعمالهم الخبيثة.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿فَذُوقُواْ﴾: (ذوق) أصلٌ واحدٌ، وهو اختبارُ الشَّيء من جهة تطعُّم، ثمَّ يُشتقُّ منه مجازًا[1]، وكثُر استعماله في القرآن في العذاب؛ لأنَّ ذلك وإن كان في التَّعارف للقليل فهو مُستَصلَحٌ للكثير، فخصَّه بالذِّكر ليعُمَّ الأمرين، والمعنى المحوريُّ: معرفةُ طعم الشَّيء؛ أي: وقعه على الحسِّ بالتَّناول منه؛ أي: إدخاله مَنفَذَ الباطنِ؛ كمعرفة طعم المطعوم والمشروب بتناوُله، ومُعظم ما جاء في القرآن من التَّركيب ذَوقٌ مجازيٌّ[2].

2) ﴿ٱلۡخُلۡدِ﴾: (خلد) أصلٌ واحد يدلُّ على الثَّبات والمُلازمة، فيُقال: (خلَدَ): أقام، و(أخلَدَ) أيضًا، ومنه: (جنَّةُ الخلد)[3]، والخُلُود: هو تبرّي الشَّيء من اعتراض الفساد، وبقاؤه على الحالة التي هو عليها، وكلُّ ما يتباطأ عنه التَّغيير والفساد تصفُه العرب

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ذوق).
(2) جبل، المعجم الاشتقاقي: (ذوق).
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (خلد).

بالخلود، كقولهم للأثافي: (خوالد)، وذلك لطول مُكثها لا لدوام بقائها، يُقال: (خلَدَ يخلُدُ خُلُودًا)، قال تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾﴾ [الشعراء: 129][1]، والمعنى المحوريُّ: بقاء الشَّيء لازمًا موضعَه أو حالَه أمدًا طويلًا[2].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

في الآية تقريعٌ وتخويفٌ بوقوع العذاب للمُجرمين بسبب نسيانهم هذا اليومَ، تقولُ لهم الخزنةُ حين دخولهم النّارَ: ذوقوا العذاب الأليم؛ لأنَّكم استخففتُم بهذا اليوم ونسيتُموه، والجزاء من جنس العمل، فإذا نسيتُموه فقد نسيناكم؛ جزاءً وفاقًا لأفعالكم، فلتَذوقوا العذاب بسبب أعمالكم السَّيِّئة.

الجزاءُ من جنسِ العمل

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

دلالةُ الفاء في قوله: ﴿فَذُوقُواْ﴾:

آثر القرآن الكريم التَّعبير بالفاء في قوله: ﴿فَذُوقُواْ﴾ لدلالتها على تفريع الجواب عن إقرارهم، وفيه إلزام لهم بموجب هذا الاعتراف؛ أي: فيتفرَّع على اعترافكم بحقِّيَّة ما كان الرَّسول يدعوكم إليه أن يلحقَكم عذاب النّار، وهذا التَّفريع من كلام المُخاطب فيه إلزام بالحجَّةِ عليهم[3]، وعلى هذا يكون قوله تعالى: ﴿فَذُوقُواْ﴾ جوابًا عن قولهم: ﴿رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا﴾ الذي هو إقرار بصدق ما كانوا يُكذِّبون به، فالفاءُ لترتيب الأمر بالذَّوق على ما قبلَه، وقد تكون الفاء الفصيحةَ؛ أي: إنْ نسيتُم هذا كلَّه فذوقوا[4].

العذابُ بعد الاعتراف

دلالةُ التَّعبير بالأمر في قوله: ﴿فَذُوقُواْ﴾:

دلَّ الأمر بـ﴿فَذُوقُواْ﴾ على توبيخ أهل النّار لتركهم العمل

توبيخُ المُجرمين بعد فوات الأوان يزيدُ الألمَ والحسرةَ

(1) الراغب، المفردات: (خلد).
(2) جبل، المعجم الاشتقاقي: (خلد).
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 224، والشوكاني، فتح القدير: 4/ 290.
(4) الدرويش، إعراب القرآن وبيانه: 7/ 579.

الصالح الذي يكون سببًا للنَّجاة، ويلزم من هذا التَّوبيخ زيادةُ الألم النَّفسيِّ؛ لأنَّ الإنسان إذا وُبِّخ على عمله ازداد ألمًا وحسرةً، وممّا يزيد الألمَ النَّفسيَّ أنَّ الأمر وُجِّه لهؤلاء المُجرمين والمُعذَّبين وهم في النّار؛ فليس المرادُ الذَّوقَ على حقيقته؛ لأنَّهم في النّار يُعذَّبون، فهو من باب التَّهكُّم، وفيه إشارةٌ إلى ما هم فيه من نكسِ الرُّؤوس والخِزْي والغمِّ[1].

بلاغةُ التَّعبير بالذَّوق:

كـلُّ مـا يجـده المُجـرمـون يـوم القيامة لونٌ من ألوان العذاب

آثر القرآن الكريم التَّعبير بالذَّوق في قوله تعالى: ﴿فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ﴾ من باب التهكُّم بهم؛ لأنَّ حقيقتَه إدراكُ المطعوماتِ، والأصل فيه أن يكون في أمر مرغوب في ذوقه وطلبه، فالمُفارقة قائمةٌ في فعل الأمر، فساعةَ ينتظرون التَّكريم بالذَّوق يأتي العذاب بالتَّذوُّق جزاءً وفاقًا لما كانوا يعملون.

وممّا يُذكر في سرِّ التَّعبير بالذَّوق أنَّه يدلُّ على الوعيد العظيم لهم؛ حيث جعل ما هم فيه منَ العذاب الشَّديد بمنزلة الذَّوق لمقدِّمة الطَّعام؛ فكذلك عذابهم الذى يُعذَّبون به يعقبُه ألوانٌ من العذاب أشدُّ، فحاسَّة التَّذوُّقِ تتَّصل بلونٍ من ألوان التَّرف في الحياة، ولا سيَّما الأكل والشُّرب، فبهما قِوام حياة الإنسان؛ لأنَّهما ضرورتان للحياة لا مُجرَّدُ ترف فيها، وهذا أنكى في التَّعذيب والإهانة، وقد يُعبَّر بالذَّوق عمّا يطرأ على النَّفس وإن لم يكن مطعومًا؛ لإحساسها به كإحساسها بذوقِ المطعوم[2].

بلاغةُ المجاز في التَّعبير عن الإحساسِ بالذَّوق:

قـمَّـة ألـوان الـتَّـعـذيـب لاتِّصال الـذَّوق بقِوام الحياة

تظهرُ بلاغة المجاز في التَّعبير بالفعل: ﴿فَذُوقُواْ﴾ في قوله تعالى: ﴿فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ﴾، فلم يُستعمَلْ في حقيقته،

(1) الآلوسي، روح المعاني: 11/ 128.
(2) القرطبي، تفسير القرطبي: 14/ 98.

وهو إدراكُ المطعومات، بل استُعمل مجازًا في معنى الإحساس بحاسَّة اللَّمس، وهو مجازٌ مُرسل علاقتُه اللُّزوميَّةُ؛ فالإحساس لازم للتَّذوُّق، ويجوز أن يكون التَّعبيرُ بـ﴿فَذُوقُواْ﴾ من باب الاستعارة؛ لأنَّ الذَّوقَ أقوى الحواسِّ المُباشرة للجسم؛ فشُبِّه به إحساسُ الجلد، وتكون الاستعارة تصريحيَّةً تبعيَّةً[1].

سرُّ حذف مفعولِ: ﴿فَذُوقُواْ﴾:

حُذِفَ مفعول: ﴿فَذُوقُواْ﴾ لدلالة السّياق عليه، ويكونُ التَّقدير: (فذوقوا ما أنتم فيه من العذاب إلى أن تسألوا الرُّجوعَ إلى الدُّنيا)[2].

دلالةُ الباء في قوله: ﴿بِمَا﴾:

بـيـانُ سـببِ ذَوقهم العذابَ

الباءُ في قوله تعالى: ﴿بِمَا نَسِيتُمْ﴾ للسَّببيَّة، وفيه إشعارٌ بأنَّ تعذيبَهم ليس لمُجرَّد سبق القولِ المُتقدِّم[3]، بل بالقول المُتقدِّم عليهم، وإيغالِهم في الكفر وتركِ ما أمرَ اللّه به؛ فالتَّعليلُ بالسَّببيَّة أساسُه اختيارُهم بترك ما أمر به، وبُعدِهم عن منهج اللّه.

سرُّ التَّعبير بـ(ما) في قوله: ﴿بِمَا نَسِيتُمْ﴾:

تـعـدُّدُ وظائف (مـا) وتـنـوُّعُ المعاني المُترتِّبة عليها

آثر النَّظم التَّعبير بـ(ما) في قوله: ﴿فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمْ﴾؛ لتعدُّدِ وظائفِها، وتنوُّع معانيها؛ فيجوز أن تكونَ مصدريَّةً غيرَ زمانيَّة؛ أي: بنسيانِكم[4]، على أنَّها وما بعدها مصدر مُؤوَّل تقديرُه: بنسيانِكم، ويكونُ التَّعبير بالمصدر المُؤوَّل أجدَى منَ التَّعبير بالمصدر الصَّريح؛ لأنَّ المصدر المُؤوَّل لا يُوصَف، أمّا الصَّريح فيُوصَف، وعدمُ وصف المصدر الصَّريح دالٌّ على بلوغ الغاية في النِّسيان مع القُبح الشَّديد للنِّسيان؛ أي: التَّرك والإهمال لما جاء به الرُّسل، إضافةً إلى ذلك فالمصدر المُؤوَّل من (ما) والفعل حدَّد الزَّمن بأنَّه الماضي، أمّا

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 225.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 225.
(3) الشوكاني، فتح القدير: 4/ 290.
(4) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن: 2/ 289.

المصدر الصَّريح فليس فيه دلالةٌ على الزَّمن؛ كعادة المصدر، فكان التَّعبير بالمصدر المُؤوَّل أجدَى وأنفعَ.

ويجوز أن تكون (ما) اسمًا موصولًا بمعنى: (الذي)؛ أي: فذوقوا بالذي نسيتُموه؛ أي: تركتُموه، فتكون (ما) هنا دالَّةً على أنَّ ما جاء به الرُّسل هو الدّين، فيكون نسيانُ الدّين وتركُه قُبحًا تلوَ قُبحٍ؛ لأنَّ تركه يعني إذاقةَ العذاب وإهمالَ الله لهم بنسيانهم وتحريقِهم بالنّار.

دلالةُ الفعل: ﴿نَسِيتُمْ﴾ مادَّةً وصيغةً:

إنـكـارُ الـواضـح أمرٌ فاضح

دلَّ الفعل: ﴿نَسِيتُمْ﴾ على وجود أمرٍ ظاهرٍ واضحٍ للعيان، لكنَّهم أنكروا الأمر الظّاهر؛ لخُبث أنفسهم، كمَن يُنكر أمرًا كان قد علمَه وفطن إليه جيِّدًا[1]، وفي هذا غفلةٌ منهم وتعالٍ على المنهج الربّانيِّ، فكان النِّسيانُ والتَّرك والإهمال، فكأنَّ الفعل يكشف عن مدى استخفافهم به، وإخلاء أنفسهم من كلِّ شعور يصل بينهم وبينه[2].

وممّا يُذكر في سرِّ اختيار التَّعبير بالنِّسيان الدَّلالةُ على أنَّ إنكارهم للبعث لم يكن جهلًا منهم، بل جاء بعد ظهور أماراته ووضوح علاماته؛ فكان إنكارهم بمثابة التَّرك لما هو معلوم، ويُؤكِّد ذلك التَّعبيرُ بصيغة الماضي، التي تدلُّ على تحقُّق الوقوع، وأنَّه أمر ترسَّخ فيهم حتَّى صار طبيعةً لهم يُعرَفون بها في ترك أوامر الله وإهمالها.

إضافةُ اللِّقاء إلى اليوم:

الإســـــراعُ في التَّخويف إبرازًا لقسوة العذاب

إضافةُ اللِّقاء إلى اليوم في قوله تعالى: ﴿لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ يتحقَّق بها أغراضٌ: **الأوَّل:** تخصيص اللِّقاء باليوم، فلا تمهُّلَ ولا تأخيرَ ولا تسويفَ، وفيه تحديدُ زمن اللِّقاء في اليوم لا بعدَه؛ إمعانًا في بيان الثُّبور والهلاك، **والثاني:** تعديدُ مواقع النَّعتِ بعده ﴿هَٰذَا﴾، وفي التَّعدُّد تنويعٌ للمعنى وبسطٌ له على ما سيأتي في المسألة التّالية.

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 25/ 145.
(2) عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 11/ 617.

بلاغةُ الاستعارة في قوله: ﴿يَوْمِكُمْ﴾:

آثر القرآن الكريم التَّعبير باليوم دون غيره من أسماء الزَّمان في قوله تعالى: ﴿لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾؛ لأنَّ لفظ (اليوم) له في اللُّغة أكثرُ من إطلاق، وليس المُراد تحديدَ يوم بعينه؛ وإضافةُ (يوم) إلى ضمير المُخاطبين تهكُّمٌ بهم؛ لأنَّهم كانوا يُنكرونه، فلمّا تحقَّقوه جُعل كأنَّه أشدُّ اختصاصًا بهم على طريقة الاستعارة التهكُّميَّة[1].

تعدُّدُ الأوجه الإعرابيَّة للفظة: ﴿لِقَآءَ﴾:

تعـدُّدُ أسباب العذاب

جاءت لفظةُ: ﴿لِقَآءَ﴾ في قوله تعالى: ﴿فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ﴾ منصوبةً على المفعوليَّة، لكنْ يتعدَّدُ العامل، فيحتمل أن يكون منصوبًا بـ﴿فَذُوقُواْ﴾؛ أي: ذوقوا لقاءَ يومكم بما نسيتُم، وعلى هذا يحتمل أن يكون المنسيُّ هو الميثاقَ الذي أُخِذ منهم بقولِه: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ [الأعراف: 172]، أو بما في الفطرة منَ الوحدانيَّة، فيُنسى بالإقبال على الدُّنيا والاشتغال بها، ويحتمل أن يكون منصوبًا بقوله: ﴿نَسِيتُمْ﴾؛ أي: بما نسيتُم لقاء هذا اليوم ذوقوا[2].

سرُّ التَّعليق بنسيانهم اللِّقاء:

نسيانُ الآخرة بسبب الانغماس بنِعَم الدُّنيا

جاء التَّعبير القرآنيُّ بقوله: ﴿فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ﴾ دون أن يقول: (بما نسيتُموني)؛ لتنزيه المولى ﷻ عن هذا النِّسيان؛ لأنَّ الله ﷻ قيُّومٌ على ملكه له الخلقُ والأمر؛ فرزقه لخلقه مُتجدِّدٌ، وعطاؤُه موصولٌ، فلا ينبغي لعاقل أن ينسى رزقَه، وما فعلَه المُجرمون في الدُّنيا منَ الإنكار إنَّما هو خروجٌ عن منطق العقل والفطرة.

فائدةُ التَّعبير باسم الإشارة القريب: ﴿هَٰذَآ﴾:

تعدُّدُ المُشار إليه مع الإشارة إلى حضورِ العذاب

اسمُ الإشارة ﴿هَٰذَآ﴾ يحتمل ثلاثة أوجه؛ **أحدُها:** أن يكون إشارةً إلى اليوم؛ أي: (فذوقوا بما نسيتم لقاء هذا اليوم)، **وثانيها:** أن

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 225.

(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 25/ 145.

يكون إشارةً إلى لقاء اليوم؛ أي: (فذوقوا بما نسيتم هذا اللقاء)، **وثالثها**: أن يكون إشارةً إلى العذاب؛ أي: (فذوقوا هذا العذاب بما نسيتم لقاء يومكم)[1].

وممّا يُذكر في سرِّ التَّعبير بالإشارة للقريب أنَّها دالَّة على أمرٍ معلوم مُشاهَدٍ لا غائبٍ؛ مُبالغةً في التَّخويف والتَّعذيب، وللدَّلالة على تحقُّق هذا اليوم، وأنَّه اليومُ الذي ما كان ينبغي أن يغفُلوا عنه.

دلالةُ تعدُّد الموقع النَّحويِّ لقوله: ﴿هَٰذَآ﴾:

تعـدُّدُ المـواقـع معه تعدُّدُ ألوان العذاب

يتعدَّد الموقع النَّحويُّ لقوله: ﴿هَٰذَآ﴾ بناءً على دلالتها وما أشارت إليه، فإذا كانت تُشير إلى لفظة: ﴿لِقَآءَ﴾ فهي نعتٌ في محلِّ نصبٍ؛ لأنَّ ﴿لِقَآءَ﴾ مفعولٌ به، وإذا كانت تُشير إلى لفظة ﴿يَوۡمِكُمۡ﴾ فهي نعتٌ في محلِّ جرٍّ؛ لأنَّ ﴿يَوۡمِكُمۡ﴾ مضافٌ إليه، ومعلومٌ أنَّ النَّعت يتبعُ المنعوت في الإعراب، ويجوزُ في لفظة ﴿هَٰذَآ﴾ أن تكون مفعولًا به في محلِّ نصب للفعل ﴿فَذُوقُواْ﴾[2]، وعلى كلٍّ فتعدُّد المواقع هنا فيه تنويعٌ لألوان التَّخويف والسُّخرية، أو لتعدُّد المُخاطبين في السّياق وإن اتَّفقوا على الكفر، أو جيء باسم الإشارة للتَّهويل[3].

نكتةُ فصلِ قوله: ﴿إِنَّا نَسِينَٰكُمۡۖ﴾:

التَّشديد في العذاب والإهانة

فُصِلَ قولُه تعالى: ﴿إِنَّا نَسِينَٰكُمۡۖ﴾ عمّا قبله؛ لأنَّه استئنافٌ بيانيٌّ، فالمُجرمون إذا سمعوا ما علموا منه أنَّهم مُلاقو العذاب من قوله: ﴿فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَآ﴾، تطلَّعوا إلى معرفة مدى هذا العذاب المَذُوق، وهل لهم منه مخلصٌ؟ وهل يُجابون إلى ما سألوا منَ الرَّجعة إلى الدُّنيا؛ ليتداركوا ما فاتهم منَ التَّصديق؟ فأُعلِمُوا بأنَّ الله مُهمِلٌ شأنَهم؛ أي: لا يستجيبُ لهم، وهو كنايةٌ عن تركهم فيما أُذيقوه.

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 25/ 145.
(2) محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن: 21/ 108.
(3) الآلوسي، روح المعاني: 11/ 128.

دلالةُ تتابع المؤكِّدات في قوله: ﴿إِنَّا نَسِينَٰكُمۡ﴾:

الـجـزاءُ مِـن جنس العمل

تتابعت المُؤكِّدات في قوله: ﴿إِنَّا نَسِينَٰكُمۡ﴾، وذلك ببناء الجملة من (إنَّ) واسمها وخبرها الفعل الماضي، والغرضُ هو تشديدٌ في الانتقام منهم(1)، وعراقةُ عقوبتهم المُنتظرة مع تأكيد ذلك.

دلالةُ إسناد النِّسيان إلى ضمير العظمة:

النِّسيان في حقِّ الله تعالى مقصودٌ به التَّرك والتخلّي

أُسنِد النِّسيان إلى نون العظمة في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَسِينَٰكُمۡ﴾ من باب المجاز، وذلك من باب تشبيه معاملة الله ﷻ لهؤلاء بمُعاملة مَن لا يُعتدُّ به ولا يُلتَفتُ إليه، والدَّليلُ على إرادة ذلك التَّشبيه أنَّ الله نفى عن نفسه النِّسيانَ في أكثرَ من آية في القرآن الكريم، كقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّٗا ٦٤﴾ [مريم: 64]، وعلى هذا يكون المرادُ به التَّركَ، وليس النِّسيانَ بمعناه الحقيقيِّ؛ لأنَّ الله مُنزَّهٌ عنه، وفيه دلالةٌ على القدرة والتَّحكُّم، فسبحانه يفعل ما يشاء ويترك ما يشاء.

دلالةُ التَّعبير بالماضي في: ﴿نَسِيتُمۡ﴾:

جاء التَّعبير بالفعل الماضي في قوله تعالى: ﴿نَسِيتُمۡ﴾ على خلاف مُقتَضى الظّاهر من التَّعبير بالمضارع الذي يدلُّ على الحال؛ لإفادة تحقُّق الفعل حتَّى كأنَّه مضى ووقع(2).

قيمةُ المُشاكلة بين ﴿نَسِيتُمۡ﴾ و﴿نَسِينَٰكُمۡ﴾:

بيانُ عدلِ الله المُطلق في الجزاء يوم القيامة

غرضُ المُشاكلة بين اللَّفظَين، وهي الاتِّفاقُ في اللَّفظ مع الاختلاف في المعنى، فإنَّ الله تعالى لا ينسى، وإنَّما المُراد: نتركُكم في العذاب تركَ الشَّيء المَنسيِّ، وغرضُ المُشاكلة إظهارُ العدل المُطلق في الجزاء وأنَّه من جنس العمل المُجازَى عنه(3)، فجزاء الإحسان إحسانٌ، وجزاء السَّيِّئة سيِّئةٌ مثلُها.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 226، والبيضاوي، تفسير البيضاوي: 4/ 221.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 226.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 226.

دلالةُ العطف بالواو في قوله: ﴿وَذُوقُواْ﴾:

إهمالُهم التَّدبُّر في حلولِ هذا اليوم عرَّضَهم لإذاقةِ العذاب

عُطِفَ قولُه تعالى: ﴿وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡخُلۡدِ﴾ على قوله: ﴿فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمۡ﴾؛ للجمع بين الذَّوقين، فأفاد العطف بالواو تأكيد تسليط العذاب عليهم، فالعطف مُراعًى فيه ما بين الجملتين منَ المُغايرة بالمُتعلِّقات، ولمّا كانت القيودُ مُغايرةً اقتضت أن تُعتبر الجملةُ الثّانية مُفيدةً فائدةً أخرى، فالجملة الأولى تضمَّنت أنَّ من سبب استحقاقهم تلك الإذاقةَ إهمالَهم التَّدبُّرَ في حلول هذا اليوم، والجملة الثّانية تضمَّنت أنَّ ذلك العذاب مُستمرٌّ، وأنَّ سبب استمرار العذاب وعدمَ تخفيفه أعمالُهم الخاطئةُ، وهي أعمُّ من نسيانهم لقاء يومِهم ذلك[1].

دلالةُ التَّكرار في الفعل: ﴿وَذُوقُواْ﴾:

تأكيدُ العذاب وبيانُ استمراره

كرَّر النَّظم الحكيم الفعل: ﴿وَذُوقُواْ﴾ في قوله تعالى: ﴿فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمۡۖ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡخُلۡدِ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ لقصد التَّأكيد؛ أي: ذوقوا العذاب الدّائمَ الذي لا ينقطع أبدًا بما كنتم تعملونه في الدُّنيا منَ الكفر والمعاصي[2]، وفي هذا زيادةُ تخويف وإرعاب، وممّا يُذكر في سرِّ تكرار الفعل: ﴿وَذُوقُواْ﴾ أنَّه يجعل الإذاقة إذاقتَين، وكأنَّ عذاب الإذاقة ينتظرهم في كلِّ مكان يتوجَّهون إليه، فالعذاب بالمرصاد لكلِّ مُجرم منهم، وفيه زيادة التَّقريع والتَّأنيب[3].

نكتةُ ذكر مفعولِ ﴿وَذُوقُواْ﴾:

بيانُ العموميَّة والتَّخصيص مع الإطلاق والتَّقييد

ذكرَ النَّظم الكريم مفعول ﴿وَذُوقُواْ﴾، ولم يذكره في أوَّل الآية؛ للتَّخصيص بعد التَّعميم، ذلك أنَّ العذاب في الذَّوق الأوَّل عذابٌ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 226.
(2) الشوكاني، فتح القدير: 4/ 291.
(3) سيد طنطاوي، التفسير الوسيط: 11/ 150.

عامٌّ ربَّما يمتدُّ، وربَّما لا يمتدُّ، فجاء المفعول هنا بالتَّركيب الإضافيِّ: ﴿عَذَابَ ٱلۡخُلۡدِ﴾؛ ليقطع أملَهم في فناء النّار، وليُؤكِّد استمراريَّة العذاب وعدمَ نفادِه، فهؤلاء سيظلُّون في عذاب خالد دائم لا ينقطع، فجعلَ حذفُ المفعول التَّركيبَ الأوَّل احتماليًّا، أمّا ذكرُ المفعول هنا فقد جعل التَّركيب يقينيًّا، وقد يُقال: حُذِفَ المفعولُ في الذَّوق الأوَّل للإطلاق، وذُكِرَ المفعول في الذَّوق الثّاني للتَّقييد.

غرضُ إضافة العذاب إلى ﴿ٱلۡخُلۡدِ﴾:

بيانُ كمالِ السَّخَط الإلهيِّ على المُجرمين

غرضُ الإضافة في قوله تعالى: ﴿وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡخُلۡدِ﴾ بيانُ كمال السَّخَط، والدَّلالةُ على غاية التَّشديد في الانتقام منهم[1]، بسبب ما تركوه إهمالًا واتِّباعًا للشَّهوات، فكما استمررتم في شهواتكم استمررنا في عذابكم الخالدِ في جهنَّم، وفيه إشارةٌ إلى أنَّ العذاب دائمٌ غيرُ مُنقطع؛ لأنَّ العذاب إذا كان له نهايةٌ ومدَّةٌ كان فيه نوعٌ منَ التَّخفيف في ظنِّ المُعذَّبين والأملِ بالخروج منَ النّار؛ لذلك جاء التَّعبير ليقطعَ هذا الأمل.

دلالةُ التَّعبير بالباء في: ﴿بِمَا﴾:

العذابُ في الآخرة مُسبَّبٌ عن الأعمال الدُّنيويَّة

آثر القرآن الكريم التَّعبير بالباء في قوله: ﴿بِمَا﴾؛ لأنَّها دالَّة على السَّببيَّة والمُقابلة، وترسمُ غاية العدل والإنصاف، فذوق العذاب له أسبابُه، والسَّبب الرَّئيس هنا هو العمل الذي بلغ العراقة في القُبح والخِسَّة.

سرُّ التَّعبير بـ(ما):

الدَّلالةُ على تنوُّعِ إجرامهم وكفرهم

آثر التَّعبيرَ بـ(ما) في قولِه: ﴿بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ دون غيرها؛ لتعدُّد معناها، فتصلح أن تكون اسمًا موصولًا؛ أي: بالذي كنتم تعملون، وتصلح أن تكون مصدريَّةً؛ أي: بعملكم.

(1) الآلوسي، روح المعاني: 11/ 128.

دلالةُ التَّعبير بالفعل: ﴿كُنتُمْ﴾:

يُحاسَبُ المُجرم على أعماله التي أصرَّ عليها

آثر القرآن الكريم التَّعبير بالفعل: ﴿كُنتُمْ﴾ في قوله تعالى: ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ دونَ أن يقولَ: بما تعملون؛ للدَّلالة على أنَّ أعمالهم القبيحة التي كانوا يعملونها منَ الكفر باللّه والتَّكذيب لرسوله ﷺ، والإنكار للبعث، لم يكن عملًا عارضًا بل كان مُتأصِّلًا فيهم، وفى ذلك دلالةٌ على أنَّهم لا يعملون أعمالَ خيرٍ ألبتَّةَ.

نكتةُ التَّعبير بالفعل ﴿تَعْمَلُونَ﴾ مادَّةً وصيغةً:

في (العمل) قصديَّةٌ ومُثابرةٌ ليست في (الفعل)

نكتةُ التَّعبير بقوله تعالى: ﴿تَعْمَلُونَ﴾ هنا أنَّ (العمل) أخصُّ منَ (الفعل)، كلُّ عملٍ فعلٌ، ولا ينعكس[1]، وهذا يحملُ قصديَّة الفعل والتَّوجُّهَ إليه، فعمل المعصية صار طبيعةً وديدنًا؛ لأنَّ فيه امتدادَ زمان[2] غير الفعل، ومن ثمَّ عبَّر به، كما أنَّ التَّعبير بالعمل يحمل المُثابرةَ عليه لا الإتيانَ به مرَّةً أو بسرعةٍ[3]، ويُؤكِّد ذلك التَّعبيرُ بصيغة المُضارع التي تُدلُّ على تجدُّد أعمالهم المذمومةِ واستمرارِهم عليها.

فائدةُ حذف مفعول: ﴿تَعْمَلُونَ﴾:

قُبحُ الأعمال ورعايةُ الفاصلة

في حذف مفعول: ﴿تَعْمَلُونَ﴾ فائدتان:

الأولى: دلالةُ الإطلاق وعدم التَّقييدِ والشُّمول، أي: أنَّكم ستذوقون العذاب بسبب كلِّ أعمالكم التي عملتموها، فكأنَّ حذف المفعول به دالٌّ على قُبح كلِّ أعمالهم، فهي والقبحُ سواءٌ، فقد أتوا بفنونِ الكفرِ والمعاصي التي كانُوا مُستمرّين عليها في الدُّنيا"[4].

والثّانيةُ: رعايةُ الفاصلة؛ لأنَّ الآيات السّابقةَ جاءت على حرف

(1) أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، ص: 109 - 110.
(2) السيوطي، معترك الأقران: 3/ 387.
(3) السيوطي، معترك الأقران: 3/ 387.
(4) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 84.

النون المسبوق بحرف مدٍّ (موقنون، أجمعين، تعملون، تستكبرون)، وهذا جانبٌ مرعيٌّ في النَّظم القرآنيِّ.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

النّسيانُ والسَّهوُ والغفلةُ:

السَّهوُ: غفلةُ القلب عن الشَّيء بحيث يتنبَّه بأدنى تنبُّهٍ، والنِّسيانُ: غيبةُ الشَّيء عن القلب بحيث يحتاج إلى تحصيلٍ جديدٍ، وقيلَ: النِّسيانُ: زوالُ الصُّورة عن القوّةِ المُدركة مع بقائها في الحافظة، والسَّهوُ: زوالُها عنهما معًا، والغفلةُ: تشملُ الأمرَين؛ إذ الغفلةُ عمّا أنت عليه لتفقُّدِه سهوٌ، وعمّا أنت عليه لتفقُّدِ غيره نسيانٌ، وقيل: السَّهوُ يكون لما علِمَه الإنسان، ولما لا يعلَمُه، والنِّسيانُ لِما غربَ بعد حضورِه[1].

السَّهوُ غفلةُ القلب عن الشَّيء والنِّسيانُ غيبةُ الشَّيء عن القلب والغفلةُ تشمل الأمرين

(1) الكفوي، الكليات، ص: 506.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع والأربعون،
سورة لقمان من الآية 21 إلى سورة الأحزاب الآية 25
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2025م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2025م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع والأربعون، سورة لقمان من الآية 21 إلى سورة الأحزاب الآية 25
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2025.
مج. 44 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-97-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 44 : المجلد الرابع والأربعون، سورة لقمان من الآية 21 إلى سورة الأحزاب الآية 25.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-97-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4197137 بتاريخ 2025/01/02م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»